وبهذا لم يكن الاستيطان الاستعماري الصهيوني معاديا للاقطاعيين العرب ، كما يدعي زعماء الصهاينة زورا وبهتانا ، بل للفلاحين والعمال العرب ، ولكل افراد الشعب العربي .

ومن المؤكد ان بريطانيا حين أصدرت الوعد أخذت في عين الاعتبار ممكنات **استخدام الصهيونية** في مواجهة حركة التحرر القومي العربية التي كانت قد بدأت تتبلور بوضوح وتتحول الى حركة ذات جذور في سورية الطبيعية والعراق وغيرها . ويؤكد ذلك ابراهام ليون ساخر بقوله ان المناداة بفيصل ملكا على سورية عام ١٩٢٠ جعلت وعد بلفور حقيقة (من حيث ان النهوض الكبير في حركة التحرر القومي العربية دفع بالامبريالية الى السعي للجم هذا النهوض وايقافه ثم انهائه) . ويجب ان نضيف الى هذا الاعتبار السابق ، اعتبارا اخر دفع بريطانيا الى اصدار الوعد ، يستهدف ، كما قال كريستوفر سايكس ، ابعاد اليهود الروس عن الحركة الثورية والحزب البولشفي الروسي . ولا جدال في ان الوعد البلفوري الشهير قد استهدف تحقيق امرين استراتيجيين اثنين :

الاول ، وضع الحركة الصهيونية في وجه حركة التحرر القومي العربية .

والثاني ، مقاومة الحركات الثورية والنظام الثوري في روسيا بخاصة ، واوروبا بشكل عام .

ولقد ادرك الاحرار العرب هذه الاغراض ، وقاوموا الصهيونية منذ أوائل عهدها بالمنطقة ، ويبرز المؤلف في هذا الصدد حقيقة هامة حين يؤكد ان بعض المؤرخين يقعون في خطأ ، معرض احيانا، حين يقولون ان بدء الكفاح العربي هو اصطدامات العرب واليهود في نيسان ١٩٢٠ . ففي « الحقيقة ان بداية المعركة كانت في رفض الحركة القومية العربية الموحدة في سورية الطبيعية الاحتلال ووعد بلفور ومطامع الصهيونية » ص ١١٠ ، وذلك منذ السنوات الاولى للقرن العشرين ، بيد أن الاحتلال البريطاني للعراق وفلسطين ، وسقوط حكومة فيصل في دمشق ، حسم الموقف ، وجزأ النضال العربي بشكل عام .

امتازت العشرينات بالميزات التالية : ١ — تقسيم فلسطين (سورية الجنوبية) الى شرق الاردن وفلسطين . ولقد قرر استثناء شرقي الاردن من فلسطين درجة مقاومة العرب ، على عكس ما يزعمه الصهيونيون . ٢ — نمو السكان . ٣ — الهجرة . ٤ — تأسيس الهستدروت وتشكيل الحاميات العمالية الصهيونية . ٥ — الاستيطان الزراعي . ٦ — تأسيس الهاجناه . ٧ — التصنيع .

ولذلك كان اصطدام الصهيونية مع الشعب العربي محتوما . لكن يجب ان ندرك ان رجحان كفة الصهيونية في الصراع ، بالاضافة الى الفروق الجوهرية بين الحركة القومية العربية الفضفاضة تنظيميا وايديولوجيا ، والحركة الصهيونية المنظمة تنظيما عاليا ، يعود سببه كذلك الى ظروف تأييد الامبريالية البريطانية والحركة الصهيونية عالميا . وقد لعبت السلطات البريطانية دورا هاما في توطيد مواقع الاقطاعيين على رأس الحركة القومية العربية : عينت بريطانيا الحاج أمين الحسيني مفتيا على القدس ورئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى في العام ١٩٢٢ .

وفي معرض تفسيره لاتجاهات الحركة الوطنية الفلسطينية وتناقضاتها وانقسامها بين مجلسية (أكثرية) ومعارضة (أقلية) ، يؤكد الدكتور توما ان السبب العميق يرجع الى انه طالما كان الفلاحون هم قوى الثورة في المستعمرات ، وكان التجار اميل للمهادنة « أمكننا فهم الظروف التي جعلت المجلسيين ، لاتصالهم بالفلاحين ، يظهرون اكثر عداء للامبريالية البريطانية . ودفعت المعارضين الى مهادنة الامبريالية البريطانية » ص ١٥٠ . ولذلك ، فان البورجوازية الصناعية ، التي كانت جنينية عند بداية الانتداب ، وتطورت ببطء هائل تحت المظلة البريطانية ولم تتمكن من الوصول الى مراكز القيادة في الحركة القومية العربية ، او على الاصح ، لم تصل الى مراكز **الحسم** في القيادة . ومنذ اواخر العشرينات ، تفاقمت التناقضات ، وبلغت الحركة الوطنية العربية شأوا عاليا في مقاومتها ، فقد زادت الصهيونية عدد الفلاحين العرب المعدمين : بلغوا سنة ١٩٣٠ ٢٩،٤ بالمئة من مجموع الفلاحين حسب التقارير البريطانية ، وقد زاد من شعور النقمة ، شعور البورجوازية العربية الناشئة بالخطر على مصالحها من جراء النشاط المتزايد الذي تقوم به البورجوازية اليهودية المدعمة من قبل مؤسسات احتكارية وحكومية، ومن قبل استيراد رؤوس اموال من الخارج. وفي معرض تقييمه لهبة البراق (١٩٢٩) يبين الدكتور توما ان